

التفسير المطول - سورة الأعراف ٠٠٧ - الدرس (٥٣-٦٠): تفسير الآيات ١٨١ - ١٨٤ ، السلوك
الإيجابي يعكس إيجابية صحيحة وصادقة وموضوعية
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٨-١١-٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين اللهم أخرجنا من
ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات .

توزيع الكمالات البشرية بين خلق الله عز وجل :

أيها الأخوة الكرام ... مع الدرس الثالث والخمسين من دروس سورة الأعراف ، ومع الآية الواحدة
والثمانين بعد المئة ، وهي قوله تعالى :

﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾

أيها الأخوة ، الله عز وجل قيل آيات
عدة يقول :

﴿ وَلَقَدْ نَزَّلْنَا لِهَيْبَتِكُمْ مِنْ الْجَنِّ

وَالْإِنْسِ ﴾

(سورة الأعراف الآية : ١٧٩)

إذاً هناك كثيرون شردوا عن الله عز
وجل فاستحقوا النار ، وهذا لا يعني أن
كل البشر كذلك ،



﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾

أما كلمة

﴿ أُمَّة ﴾

الكمال البشري من شأنه أنه متعدد ، في شجاعة ، في كرم ، في حكمة ، في حلم ، في لطف ، في
قوة ، في إباء ، في رحمة ، الكمال البشري متنوع ، ولحكمة بالغة بالغة أن كل واحد من بني البشر
ممن آمن بالله تفوق بكمال من هذه الكمالات ، يغلب على صفات إنسان أنه كريم ، إنسان آخر أنه
شجاع ، إنسان آخر أنه حلیم ، إنسان آخر أنه يحب خدمة الخلق ، فهذه الكمالات البشرية موزعة
بين خلق الله عز وجل .

لذلك

﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً ﴾



الأمة تجتمع فيها كل الكمالات ، هذا شيء واقع ، بحياتنا أستاذ جامعي كبير ، داعية كبير ، مثلاً محسن كبير ، عالم كبير ، قائد كبير ، إنسان مكنه الله من مقارعة الأعداء ، سيدنا صلاح الدين ، سيدنا خالد ، إنسان مكنه الله من إقامة العدل ، سيدنا عمر ، فكل إنسان له كمال تفوق به ، مجموع هذه الكمالات يشكل أمة ، إلا أن إبراهيم عليه السلام كان أمة وحده .

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾

(سورة النحل الآية : ١٢٠)

سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام أمة وحده ، فلذلك النبي صلى الله عليه وسلم معصوم بمفرده ، بينما أمته معصومة بمجموعها .

((أُمَّتِي لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ))

[أخرجه ابن ماجه عن أنس بن مالك]

والنبي عليه الصلاة والسلام كماله شمولي .

﴿ وَأَنْتَ لَعَلَىٰ خُلُقِي عَظِيمٌ ﴾

(سورة القلم)

شجاعته ، وحلمه ، ورحمته ، ورقته ، ولطفه ، وهذه الصفات كلها مجتمعة في شخص النبي عليه الصلاة والسلام ، هو معصوم بمفرده ، وكل الكمالات البشرية محققة فيه بمفرده ، بينما أمته معصومة بمجموعها ، والكمالات موزعة فيها ، هذا شيء واقع ، طبيب ، مهندس ، محامي ، اختصاصات ، محسن كبير ، داعية كبير ، قائد شجاع ، فكل كمال في النبي موجود فيه ، وكل كمال في أمة محمد موجود فيه ، هذا معنى قوله تعالى :

﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا ﴾

﴿ وَلَقَدْ دَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ ﴾

طبعاً نبهت وقتها أن

﴿ نَرَأُنَا ﴾

لا تعني أننا خلقنا لجهنم ، هذه اللام لام المآل ، خلقنا خلقاً كثيرين ، منهم شردوا عن الله عز وجل فاستحقوا النار فاللام لام المآل ، ليست لام التعليل ، خلق كثير عرفوا الله عز وجل فاستحقوا الجنة.

الله عز وجل خلق الإنسان لیسعده :

إذا :

﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾

(سورة الكهف الآية : ٢٩)

﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾

(سورة الإنسان)

﴿ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾

(سورة البقرة الآية : ١٤٨)



خلق الله الخلائق ، خلقها جميعها لیسعدها .

﴿ إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾

(سورة هود الآية : ١١٩)

الحكمة من المصائب :

قد تقول ما حكمة المصائب ؟ المصائب حكمتها تماماً كحكمة المكبح في السيارة ، السيارة صنعت من أجل أن تسير ، والمكبح عقدياً يتناقض مع علة صنعها ، لكنه أكبر ضمان لسلامتها .

﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

(سورة السجدة)

﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾

يعني الله عز وجل حينما أكرم المؤمنين بهذه الكمالات ، هذه الكمالات مشاعر داخلية تنعكس سلوكاً خارجياً ، فالقلب الرحيم رحيم ، لكن سلوكه رحيم ، قلب الحليم حليم لكن حركته فيها حلم ، فصار الكمالات البشرية قدوة وأسوة لمن حولهم .

أب ما سمع أولاده منه كلمة بذئية ، أبلغ الظن أن أولاده ينضبطنون في كلامهم ، أب كلما دخل وقت الظهر توضعاً وصلى أمام أولاده ، فالأب أسوة في صدقه ، في حكمته ، في ضبط لسانه ، في عبادته ، في معاملته ، في كرمه ، في رحمته ، فهؤلاء المؤمنون الذين شرفهم الله عز وجل بكمال بشري هم في الحقيقة دعاة صامتون ، دون أن يشعروا ، فالمتفوق داعية لكن لا بلسانه بل بعمله . والدليل أن في بعض الأحاديث الشريفة حديثاً يقول فيه النبي عليه الصلاة والسلام :

((استقيموا يستقم بكم))

[أخرجه الطبراني عن سمرة بن جندب]

يكفي أن تكون أميناً فأمانتك دعوة إلى الأمانة ، يكفي أن تكون صادقاً صدقك دعوة إلى الصدق ، يكفي أن تكون مؤدياً لعباداتك ، أداؤك لعباداتك في المكان العام دعوة لأداء العبادات ، فأنت يمكن أن تكون داعية كبيراً بلسانك ، ويمكن أن تكون داعية كبيراً بعملك . هؤلاء التجار التسعة الذين ذهبوا إلى إندونيسيا ، فيها ثلاث عشرة ألف جزيرة،



هؤلاء التجار التسعة أغلب الظن أنهم ما تكلموا كثيراً ، لكنهم فعلوا كثيراً ، فإذا بأكبر قطر إسلامي يعد ٢٥٠ مليوناً كل مسلم عن طريق هؤلاء التجار .

لذلك حينما قال النبي عليه الصلاة والسلام :

((التَّاجِرُ الْأَمِينُ الصَّدُوقُ مَعَ النَّبِيِّينَ))

[أخرجه الترمذي عن أبي سعيد الخدري]

الصين فيها ٨٠ مليون ، زرت مسجداً في بكين عمره ١٢٠٠ عام ، والذي بنى المسجد مدفون في صحن المسجد ، قلت : إنسان دخل إلى الصين ، الآن دعوته شملت ٨٠ مليون إنسان .

الأسوة الحسنة طريقة مذهلة في التعليم :

النقطة الدقيقة : أن كمال الإنسان كماله بأخلاقه ، بعفته ، باستقامته ، بأمانته ، بصدقه ، برحمته ، بإنصافه ، بحلمه ، هذه الأخلاق الراقية جعلت منه أسوة حسنة لمن حوله ، أنا أتصور أباً مؤمناً بلا جهد أولاده كذلك ، يرون أباهم ، يرون أدبه ، يرون حكمته ، يرون رحمته ، يرون سخاءه ، كرمه ، نحن عندنا طريقة للتعليم مذهلة الأسوة ، بلا كلام ، بلا إلقاء خطابات ، بلا توجيه نصائح ، بلا توجيه مواعظ ، بلا زجر ، لا



كن كاملاً في البيت ، كمالك يعد أسوة لأولادك ، المعلم الكامل أسوة ، مدير المؤسسة الكامل عادل بين الموظفين ، متواضع لهم ، يحترمهم ، يسأل عن أحوالهم ، يلبي حاجاتهم ، يرحمهم ، لو أن أحد كبار الموظفين عُين رئيس دائرة في الأعم الأغلب سيقبل مديره العام ، برحمته ، وإنصافه .

كمال الإنسان يجعله قدوة أمام الآخرين :

لذلك هناك طريق سالك وسهل طريق الأسوة الحسنة ، سيدنا عمر كان إذا أراد إنفاذ أمر جمع أهله وخاصته وقال : إني قد أمرت الناس بكذا ، ونهيتهم عن كذا ، ونهيتهم عن كذا ، والناس كالطير إن رأوكم وقعتم وقعوا ، ويم الله لا أوتين بواحد وقع فيما نهيت الناس عنه ، إلا ضاعفت له العقوبة لمكانه مني ، فصارت القرابة من عمر مصيبة .



الآن أنت حينما تكون كاملاً ، زوج ناجح ، أب ناجح ، أب رحيم ، كلامك رحيم ، قلبك ممتلئ رحمة لأولادك ، لك أجران ، أجر أنك كنت كاملاً ، وأجر أن

تفسير الآيات ١٨١ - ١٨٤ ، السلوك ١

كمال الإنسان يجعله قدوة أمام الآخرين

من حولك اقتدوا بك ، فأنت تثاب على كمالك ، وعلى كمال الذي قلدك ، ولا سمح الله ولا قدر أب مدخن ، أو معلم مدخن ، يتحمل إثم التدخين هو ، ومن قلده من طلابه ، بشكل أو بآخر أي خطأ من إنسان له منصب قيادي العقاب مضاعف ، عقاب خطئه ، وخطأ من قلده ، وأي موقف كامل لإنسان له منصب قيادي ، معنى منصب قيادي الأب منصبه قيادي بالبيت ، والأم ، والمعلم ، مدير الدائرة ، مدير المستشفى ، مدير الجامعة ، مدير المعمل ، أي إنسان مكنه الله من أن يدير جمع من الأشخاص منصبه قيادي ، فكمالاته لها أجر مضاعف ، وسيئاته عليه منها وزر مضاعف ، وزره ووزر من قلده .
الله عز وجل يقول :

﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ ﴾

وهو صامت ، لذلك أنا أقول هناك الآن دعوة صامته ، لا تحتاج إلى ضجيج ، ولا إلى رفع صوت ، ولا إلى زجر ، ولا إلى خطابة مفوهة ، كن مستقيماً استقامتك دعوة ، وكن أميناً أمانتك دعوة ، وكن صادقاً صدقك دعوة ، وكن حليماً حلمك دعوة ، وكن متفوقاً التفوق دعوة .

الحق الشيء الثابت والهادف والباطل الشيء الزائل والعايب :

﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ ﴾

ما الحق ؟ كلمة ترد في القرآن كثيراً ، الله عز وجل هو الحق ، لكن ما معنى :

﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ ﴾

(سورة التغابن : ٣)

معنى

﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ ﴾

أي أن الحق لا يلبس خلق السماوات والأرض ، الحق معناه الشيء الثابت والهادف ، يقابله الباطل الشيء الزائل والعايب ، مثلاً :

قد ينصب سيرك في بلد ما ، السيرك أسبوعي ، وفيه ألعاب بهلوانية ، فيه فيل ووحوش ، قضية تسلية ، أولاً مؤقت ، وهذا المخيم الكبير لأسبوعين فقط ، وهذا السيرك لا يقدم علماً عميقاً ، ولا يقدم



الحق هو الشيء الثابت والهادف أما الباطل فهو الشيء الزائل والعايب

فكراً دقيقاً ، ولا يقدم علماً رائعاً ، يقدم ألعاب تسلي الإنسان فقط .

فالشيء الباطل الشيء الزائل ، والشيء الباطل الشيء العابث ، أحياناً تبني جامعة هذه تبني لتكون إلى مئات السنين ، هناك جامعة يقول لك من ١٥٠٠ عمرها ، الآن ٢٠٠٠ ، من ٥٠٠ عام ، هذه الجامعة بنيت لتبقى ، هذه الجامعة هدفها تزويد الأمة بقيادة ، بأطباء بمهندسين ، بقضاة ، بعلماء ، بعلماء فلك ، علماء ذرة ، فالهدف كبير ، الهدف راقٍ ، الهدف نبيل ، فالحق الشيء الثابت والشيء الهادف ، والباطل الشيء الزائل ، الإلحاد باطل .

لذلك الدولة العملاقة التي قامت على الإلحاد بقيت سبعين عاماً ثم زالت ، أصبحت أفكارها في الوحل ، الباطل مهما يكن قوياً زائل ، لقول تعالى :

﴿ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾

(سورة الإسراء)

مهما يكن متعدداً كم فرقة ضالة طرأت على التاريخ الإسلامي ، أين هي الآن ؟ الذي بقي هو الحق ، الذي بقي من تمسك بالقرآن ، وسنة النبي العدنان .

تناقض تأليه الأشخاص مع منهج الله عز وجل :

لذلك أيها الأخوة ، أريد أن أبين أن الفرق الضالة تجمعها خصائص ، من هذه الخصائص أنها تؤله الأشخاص ، تأليه الأشخاص يتناقض مع منهج الله .

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾

(سورة الكهف الآية : ١١٠)

دخل أعرابي على مجلس النبي قال : أيكم محمد ؟ ما له مكان خاص ، ولا هيئة خاصة ، ولا حرفة خاصة ، أيكم محمد ؟ الفرق الضالة من شأنها أنها تؤله الأشخاص ، وتخفف التكاليف ، هذه الفرقة ألغت الصلاة ، هذه الفرقة ألغت الصيام ، هذه ألغت الزكاة ، تؤله الأشخاص ، وتخفف التكاليف ، وتعتمد على نصوص موضوعة لا أصل لها .



مرة أهدي إليّ كتاب ، فيه أحاديث مختارة ، أول حديث روى الديلمي عن ابن عباس أنه قال : ليس من مات فاستراح بميت ، إنما الميت ميت الأحياء ، قلت : هذا ليس حديثاً ، قلت له : هذا كلام المتنبّي ، قال : لعل النبي أخذه منه ، قلت له : جاء بعد النبي .

اعتماد الفرق الضالة على الأحاديث الموضوعة و تخفيف التكاليف :

الفرق الضالة تعتمد على أحاديث موضوعة ، وعلى تأويلات ضالة ، وعلى قصص هزيلة ، تالفة ، والصفة الثانية أنها تخفف التكاليف ، الآن الانتماء سهل جداً ، الانتماء سهل أما تطبيق المنهج صعب ، يكفي أن تقول أنا مع فلان ، سهلة ، هل أنت مستقيم ؟ هل أنت صادق ؟ هل أنت أمين ؟ هل أنت وقاف عند حدود الله ؟ .



لذلك الديانات الأرضية في آسيا تعد ٩٠ مليون ، ما فيها منهج ، تأليه بوذا فقط . مرة زرت معبداً في أمريكا لديانة أرضية آسيوية ، وجدت صنماً من البرونز ، صدقوا أيها الأخوة أن صدره فيه حبات ألماس بمئات الملايين ، برونز أسود صدره كله حبات ألماس موشورية برلنت بالملايين ، رأيت بعض الأتباع ينبطحون بأجسادهم انبطاحاً كاملاً ،

وهم مثقفون ، ورأيت كسارة جوز هند بمدخل المعبد ، سألت ؟ قال : الآلة تحب جوز الهند ، والله زيارة لا أنساها بأمريكا بلبس أنجلوس ، كيف يحب هذا الصنم من البرونز والألماس جوز الهند ؟ شيء غير معقول ؟ .

فكل شيء أرضي ، الانتماء سهل ، لأنه لا يوجد منهج ، لا يوجد افعول ولا تفعل ، يكفي أن تعلن انتماءك لهذا المنهج ، القضية سهلة جداً ، لكن الإسلام فيه منهج ، فيه أحكام ، فيه أوامر ، فيه نواهٍ ، فيه محرمات ، فيه عبادات ، فيه هدف ، فيه التزام . من هنا الآية الكريمة :

﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ ﴾

في حق

﴿ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾

الفرق الضالة كلها تؤله الأشخاص ، وتخفف التكاليف ، وتعتمد على نصوص موضوعة ، وضعيفة ، وقصص تالفة وذات نزعة عدوانية ، هذه الصفات الأربع تتصف بها كل الفرق الضالة .

عظمة الدين الإسلامي :

أما الكتاب والسنة ، سيد الخلق وحيب الحق قال :

﴿ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾

دقق لا أملك لكم نفعاً ولا ضرراً ، سيد الخلق ، لا أملك لكم نفعاً ولا ضرراً ، والأبلاغ من ذلك :

﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾

(سورة الأعراف الآية : ١٨٨)

الأبلاغ من ذلك قل لا أعلم الغيب .



﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾

(سورة الزمر)

هذا من ؟ سيد الخلق ، حبيب الحق ، سيد ولد آدم ، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ، فلا أملك لكم نفعاً ولا ضرراً ، لا أعلم الغيب ،

﴿ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾

أيها الأخوة ، أريتم إلى عظمة هذا الدين ؟ .

كل شيء مبني على العدوان والكذب والدجل زاهق لا محالة :

إذاً

﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾



الحق الشيء الثابت والهادف ، الدين حق ، أما هناك آلاف النشاطات العابثة والزائلة لا قيمة لها إطلاقاً ، هي الباطل ، الباطل زائل يعني جدار أنشأناه بلا شاقول مائل ، لأنه أنشئ بلا شاقول هذا مصيره إلى الوقوع ، أما الجدار الذي

تفسير الآيات ١٨١ - ١٨٤ ، السلوك ١٧

أنشئ وفق مبادئ صحيحة هذا من شأنه البقاء ، فالحق باقٍ والباطل زائل .
الذين رفعوا شعار لا إله ، عندهم قنابل ذرية ، قنابل نووية ، يحكمون تقريباً ثلث العالم ، كل هذه
القوة ، وكل هذه الغطرسة ، وكل ، وكل ، تلاشت ، وانتهى الأمر

﴿ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾

والقوة الثانية التي أرادت الهيمنة على العالم لا بالحق بل بالباطل أيضاً زائلة ، والذين احتلوا هذه
البلاد الفرنجة بقوا فيها تسعين عاماً ، وبعدها خرجوا إذاً

﴿ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾

كل شيء مبني على العدوان والكذب والدجل هذا زاهق لا محالة .

من كان متفوقاً تفوق من حوله :

﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾

التركيز اليوم على أنك إذا كنت متفوقاً
تفوق من حولك ، إذا كنت صادقاً صدق
من حولك ، إذا كنت أميناً كان أميناً من
حولك ، فالكمال وحده دعوة إلى الله ،
أنت لا تحتاج إلى قدرة على الخطابة ،
والنصوص واضعها ، تجد أباً صالحاً ،
أولاده صالحون .



هناك نقطة دقيقة : إنسان أمي لا يقرأ ولا يكتب ، اشترى مكيفاً ، فتح مفتاح التشغيل ، جاءه الهواء
البارد ، تمتع به ، شخص معه دكتوراه بالتكييف من أرقى بلاد العالم ، اشترى مكيفاً ، وضعه
بغرفته ، فتح التشغيل جاءه الهواء البارد ، فقال بعضهم : الانتفاع بالشيء ليس أحد فروع العلم به ،
يستطيع إنسان أمي أن ينتفع بالمكيف انتفاعاً تاماً ، كما ينتفع به من يحمل دكتوراه بالتكييف ،
القصد من هذا المثل إنسان يصدق ، لا قرأ عن فلسفة الصدق ، ولا عن نتائج الصدق ، ولا عن
الأدلة عن الصدق ، إنسان يلقي محاضرة عشر صفحات ، الأدلة ، الآيات ، الأحاديث ، القصص ،
التحليل ، تحليل نفسي ، تحليل اجتماعي ، تحليل لغوي ، يزيدك علماً من أجل أن تكون صادقاً ،
يأتي إنسان يصدق بالفطرة يقطف كل ثمار الصدق ، احفظوا هذه القاعدة الانتفاع بالشيء ليس أحد
فروع العلم به .

الموقف الكامل لا يحتاج إلى ثقافة عالية و تعمق و فلسفة يحتاج لقلب رحيم :

أجدادنا ، قد يكون ثقافتهم محدودة ، لكن الأب صالح ، يصلي صلواته الخمس ، صادق ، أمين ، رحيم ، الأب هذا انتفع من حوله وانتفع هو بكماله من دون تحليل إيديولوجي للصدق ، أنا لست مع الجهل معاذ الله ، هذا الدين لكل الخلق ، إنسان غير متعلم ، متعلم ، ثقافته عالية جداً ، ابن ريف ، ابن مدينة ، فقير ، غني ، ذكاؤه متقد ، محدود الذكاء ، هذا الدين لكل البشر ، أي إنسان طبق منهج الله قطف ثماره كاملة ، عن وعي أو عن غير وعي ، عن علم أو عن غير علم ، أي إنسان طبق منهج الله ، قطف ثماره كاملة .



قصة أروبيها كثيراً لكن جاءتني الآن خاطرة أن أروبيها لكم : إنسان يعمل خطيب وإمام مسجد رأى النبي عليه الصلاة والسلام ، قال له النبي في الرؤيا : قل لجارك فلان إنه رفيقي في الجنة ، جاره بقال إنسان بسيط جداً ، فهذا الذي يخطب على المنبر ، وإمام تأثر تأثراً سلبياً جداً ، هذه الرؤيا كان من الممكن أن تكون لي ، لماذا لهذا

البقال ؟ طرق بابيه ، قال له : لك عندي بشارة ، لن أقولها لك إلا إذا أخبرتني ماذا فعلت مع ربك ؟ فامتنع ، فبعد إلحاح شديد قال له : تزوجت إنسانة ، بالشهر الخامس من زواجي كان حملها في الشهر التاسع ، واضح في خطأ مرتكب ، قال له : بإمكانني أن أسحقها ، وأن أفضحها ، وأن أطلقها ، والشرع معي ، وأهلها معي ، والمجتمع معي ، والقانون معي ، والمحكمة معي ، لكن أردت أن أعينها على التوبة ، جاء لها بمن يولدها ، ولدت ، وحمل الجنين المولود تحت عباته ، وتوجه إلى جامع الورد في دمشق ، وبقي واقفاً أمام الباب حتى نوى الإمام الصلاة ، قال : الله أكبر ، دخل ووضعها إلى جانب الباب والتحق بالمصلين ، فلما انتهت الصلاة بكى هذا الصغير ، تحلق المصلون حوله ، وتأخر هو حتى يكتمل تحلق المصلين حوله ، ثم اقترب ، قال : ما القصة ؟ قال: تعال انظر ! جنين مولود لقيط ، قال : أنا أكفله ، فأخذه ، ودفعه إلى أمه من أجل أن تربيته ، فاستحق هذا الإنسان أن يبشره النبي الكريم أنه رفيقه في الجنة .

أحياناً الموقف الكامل لا يحتاج إلى ثقافة عالية ، وتعمق ، وفلسفة ، يحتاج لقلب رحيم ، هذه بإمكانني أن أحملها على التوبة لي فيها أجر كبير جداً .

فيا أيها الأخوة ، لمجرد أن تكون كاملاً فأنت داعية ، لا بلسانك ولكن بفعلك ، أنت أب معلم ، عندك محل تجاري ، عندك خمسة موظفين ، أنت الآن منصبك قيادي ، كلامك منضبط ، ما عندك كلمات بذيئة ، علمتهم الانضباط بالكلام ، امرأة متقلبة غضضت عنها البصر ، علمتها غض البصر .

لذلك الآية الكريمة :

﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾

من لم يعبا بكلام الله و أفعاله و خلقه سيتعرض لعقاب الله و تأديبه حتى يعترف بذنبه :

﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(سورة الأعراف)

هناك آيات كونية ، وهناك آيات قرآنية ، وهناك آيات تكوينية ، لم يعبا لا بأفعال الله ، ولا بخلقه ، ولا بكلامه .

﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ ﴾

الآن درج تنتقل من طابق أول لطابق
خامس ، درجة درجة ، وتنتقل من
خامس لأول درجة درجة ، فالله عز
وجل وصف استدراج من شرد عنه
استدراج أنه يعترف بذنبه مرة تلو مرة،
بالنهاية والله يا ربنا ما كنا بك مشركين،

﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ ﴾



تجد الإنسان العاصي متعند ، متكبر ، متعطرس ، ضربة تلو ضربة ، ضربة تلو ضربة ، يقول لك أنا إنسان سيء جداً ، هذه متي قالها ؟ بعد أن عاقبه الله ، وأجرى عليه كل ألوان التأديب حتى اعترف بذنبه .

﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾

الكونية والتكوينية والقرآنية :

﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

إنسان مع إنسان قد تستدرجه يبقى صاحياً ، أي يفسد عليك استدراجك له ، يقول لك : انتبهت له ، يقول له : تغديت به قبل أن يتعشى بي ، إنسان مع إنسان يقدر ، أما الإنسان مع خالق الأكوان لا يقدر ،

﴿ سَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾
﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾

(سورة الأعراف)

أي أمهلهم .

تأخير العقاب و المكافأة يعطي الإنسان الاختيار :

أخوانا الكرام فكرة دقيقة : لو شخص مع أول معصية الله قصمه ، الكل يستقيم لا عن محبة الله ، لو شخص مع أول عمل صالح الله كافأه



الكل يعمل أعمالاً صالحة تصبح بعقلية تجارية ، لكن ممكن أن تطيعه لأمد طويل وأنت أنت ، لا يوجد شيء ، دخل محدود ، بيت متواضع ، صحة وسط ، وأنت صائم و تصلي ، ممكن شخص يعصي الله عز وجل بكل أنواع المعاصي وضغطه ٨ . ١٢ نظامي ، ونبضه ٨٠ نبضة ، وصحته عمل تحليلاً لكل شيء درجة أولى مثل البغل طبعاً ، ممكن تعصيه إلى أمد طويل وأنت بأعلى نوع قوة ، ممكن تطيعه ، تأخير العقاب ، والمكافأة تعطي اختيار ، صار في اختيار .

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُم لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ :



﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ ﴾

تجدهم يتعطرسون ، ويدمرون شعوباً ،
ويقصفون مدناً ، ويتعالون على الله عز
وجل ، وهم مرتاحون ،

﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ ﴾

لذلك :

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُم لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾

(سورة إبراهيم)

﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾

(سورة الطارق)

﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾

(سورة إبراهيم)

هذه معنى

﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ ﴾

بطولة الإنسان أن يبتغي الرفعة عند الله عز وجل :

لو شخص على أول غلطة الله عاقبه التغي الاختيار ، نظر فقد بصره ، الكل يغمضون أعينهم ،
انتهى ، مثلاً دفع صدقة ليرة يأتيه عشرة ، الكل يدفعون صدقة ، لا ، ممكن تطيعه لأمد طويل ، لا
يوجد شيء ، لأنك تريد الآخرة ، ممكن لا سمح الله تعصيه بكل أنواع المعاصي لا يوجد شيء ،
بيت ، وسيارة ، ودخل ، وولائم ، وسفر ، وذهاب و إياب ، لا يوجد شيء ، يقول له أين الله ؟

ممكن تطيعه لأمد طويل لا يوجد شيء
أبداً ، في راحة نفسية فقط ، كم مؤمن
صادق فقير ؟ موظف درجة عاشره ،
ضارب آلة كاتبة ، لكن من بيته لعمله
مستقيم ، صادق ، أمين ، صلواته
الخمس يؤديها ، يحب الله عز وجل ، له

14

بصحة وصداقة وموضوعية
رب اشعت مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره



درس علم يحضره ، هذا قلامة ظفره تساوي مليون شخص ، لكن بالدنيا ليست مبينة الأمور ، يبين مواطن عادي ، لذلك :

((رَبِّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

ممكن أن يكون الشخص من الدرجة العاشرة اجتماعياً ، موظف ، حاجب ، وهناك مدير عام ، وسكرتير ، وبالنهاية الله لا يحبه ، وهذا الحاجب غالٍ على الله ، فأنت بطولتك أن تبتغي الرفعة عند الله :

((رَبِّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

كن ابن من شئت ، غني ، فقير ، من أرقى عوائل دمشق ، عائلة لا أحد يعرفها مغمورة ، أنت عبد لله عز وجل ، هذه كلها عنعنات جاهلية . أنا والله لي كلمة يا أخوان لا يضاف على كلمة مسلم ولا كلمة ، مسلم ، انتهى ، تحبه غنياً متواضعاً ، تحبه فقيراً ، تحبه مثقفاً ثقافة عالية ، سخر ثقافته للدعوة ، تحبه غير متعلم ، لكن على الفطرة ، صادق ، أمين ، كريم ، تحب إنساناً أحياناً على الفطرة ، مادام مسلم الإسلام صبغوه بالكمال ، فأنا أقول لا يضاف على كلمة مسلم ولا كلمة .

بطولة الإنسان أن يكون متواضعاً لا تهمة المراتب الدنيوية :

أيها الأخوة ،

﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾



مع الله لا يوجد ذكي ، يؤتى الحذر من مأمنه .

﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾

المتانة صفة لمقاومة قوى الشد ، يعني عندنا أمتن شيء بالدنيا الفولاذ المضفور ، الجسور العملاقة تعلق بحبال فولاذية ، المصاعد بحبال فولاذية ، التل فريك بحبال فولاذية ، هذا أمتن شيء ، وأقسى شيء مقاومة قوى الضغط

الألماس ، المتانة مقاومة قوى الشد ، والقساوة مقاومة قوى الضغط ، فهنا الإنسان مربوط بحبل مهما

كان قوياً لا يستطيع أن يفلت منه ، مهما كان ذكياً في قبضة الله ، بثانية بأعلى درجة من القوة ،
بثانية أصبح مشلولاً وهذه السنة الرابعة ، أو أكثر ، كم سنة صار له ؟ والله يمد بعمره .

﴿ وَأْمَلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾

بطولتك أن تعرف الله ، تصبح متواضعاً ، تصبح أديباً ، لا يهملك المراتب الدنيوية ، ساكن بأقل
مستوى ، لكن لك عند الله مكانة كبيرة .

من آمن إيماناً حقيقياً تبدلت مقياسه و له عند الله مكانة كبيرة :

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾

(سورة القمر)

كن إنساناً عادياً ، أقل من عادي لكن
الله يحبك ، وإذا أحبك الله أحبك كل
شيء ، إذا كان الله معك فمن عليك ؟
وإذا كان عليك فمن معك ؟ ويا رب ماذا
فقدت من وجدك ؟ وماذا وجد من فقدك ؟
لا تهتم بالدنيا ، هذه عرض زائل ، يأكل
منه البر والفاجر ، والآخرة وعد صادق
يحكم فيه ملك عادل ، كن من أهل
الآخرة ، اعمل عملاً صالحاً ، اطلب



العلم ، ادعُ إلى الله ، أما بيتك خارج دمشق ، خير إن شاء الله !.

مرة دخلت لبيت انرح صاحبه كثيراً ، صغير جداً ، قلت له هون عليك ، سيد الخلق وحبيب الحق
كانت غرفته لا تتسع لصلاته ونوم زوجته .

((لو كانت الدنيا تزن عند الله تبارك وتعالى جناح بعوضة ، ما أعطى كافراً منها شربة ماء))

[أخرجه ابن أبي شيبة عن رجل من بني فهم]

إذا آمنت إيماناً حقيقياً تتبدل كل مقياسك ، مقياسك العمل الصالح ، مقياسك عبادتك ، مقياسك
محبتك لله عز وجل ، مقياسك حبك للخير ، و خدمة الخلق .

إذا آيات اليوم :

﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا

يَعْلَمُونَ * وَأْمَلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾

﴿ أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾

(سورة الأعراف)

علم ، وحكمة ، وأمانة ، وصدق ، وطلاقة لسان ، ودعوة ، وبيان ،

﴿ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْقَدِيرُ الْمُبِينُ ﴾

والحمد لله رب العالمين